

اسم المقرر ورقمه

الأخلاق وآداب المهنة- سلم ٣١٧

د. عبد الله الديرشوي



نظام التعليم المطور للانتساب
كلية الآداب- قسم الدراسات الإسلامية

المحاضرة الحادية عشرة

التعاون المهني

خلق التعاون المهني

تعريف التعاون المهني:

التعاون لغة: المساعدة، من عاونه وأعانه إذا ساعده. والمعاون: المساعد.

والتعاون المهني في الاصطلاح لا يخرج عن معناه اللغوي، وهو المساعدة على أداء المهنة. أي المساعدة في إيجاد المهنة، وأداء مهامها بروح الفريق الواحد. وإنما يتحقق ذلك بأكمل صورته بالتزام جميع الأطراف بتسييد معاني الأخوة والاحترام والصبر على المكاره، ثم الارتقاء إلى مراتب التناصح والتنافس الشريف.

إذاً فتحقيق التعاون المهني على أكمل وجه يوجب على أطراف المهنة أن يسعوا في واقع مهنتهم إلى تحقيق أمرين اثنين هما:

١- تسييد معاني الأخوة والاحترام والصبر على المكاره بين أطراف المهنة من عاملين وأرباب عمل أو رؤساء.

٢- الارتقاء إلى درجات التناصح والتنافس باعتبارها ثمرة لتسييد معاني الأخوة والاحترام وبتباسة الصبر.



شروط التعاون المهني:

لابد لتحقيق معاني الأخوة والاحترام والصبر والتناصح والتنافس الشريف من توافر الشروط التالية:

١- استحضار معنى الأخوة مع زملاء المهنة:

قال تعالى: {إنما المؤمنون أخوة} وهذه أولى وأهم الشروط لتحقيق التعاون المهني، إذ تكاد الشروط الأخرى تكون نابعة، ومتفرعة عن هذا المعنى، فالأخوة تستلزم المحبة والسماحة والنصح وغيرها، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم تلك المعاني في قوله: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه".

٢- إنكار الذات:

إنكار الذات والترفع عن الأنا من ضرورات التعاون المهني، وبقدر ما يستطيع المرء التخلص منها، يكون استعدادة للتعاون أكبر، ويكون محبته للخير للآخرين أعظم، وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك دليلاً على استكمال الإيمان فقال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".



٣- السماحة في المنهج:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رحم الله عبداً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى". فالسماحة وكرم النفس من ضرورات التعاون المهني، ومن دونها يكون التشاح، والتباغض، والتدابير.

٤- الصبر على المكاره:

فمن غير الصبر لا يمكن أن يتحقق التعاون المهني، إذ لا بد أن يجد كل واحد من زميله أموراً لا تعجبه، فإن لم يوطن نفسه على الصبر، كان الصدام. قال تعالى: {إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}.

٥- بذل النصيحة:

عن تميم الداري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة"، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم". فالتعاون يستدعي بذل النصيحة ضرورة.

٦- المنافسة الشريفة:

التنافس الشريف فيما هو لصالح المهنة ولما فيه خيرها أمر مفيد ومطلوب، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قتل قتيلاً، فله سلبه". وما ذلك إلا للتشجيع والمنافسة والحث على المزيد من البلاء في المعركة.



التوجيه الفقهي لخلق التعاون المهني:

كما أسلفنا في الخصال السابقة (الطهارة المهنية والاستقامة) فإن الحد الأدنى من هذا التعاون أيضاً ضروري وإلزامي بنص القانون أو العقد، والإخلال به يستوجب مسؤولية قضائية، ويبقى ما فوِّقه مطلوباً من جهة الأخلاق، ويستوجب مسؤولية أخلاقية.

وأيضاً ننبه هنا إلى ما أسلفناه من قبل من أن التعاون المطلوب في كل مهنة بحسب طبيعتها:

١- فالتعاون المطلوب بين المدرسين يختلف عن التعاون المطلوب بين الطبيب والمريض، أو طاقم الطائرة... وهكذا.

٢- كما أننا لا شأن لنا بالجوانب الأخرى التي لا تتصل بالمهنة كالتعاون بين أفراد الأسرة أو الجيران... ونحو ذلك.



أدلة التعاون المهني:

يدل لخلق التعاون المهني أدلة كثيرة من القرآن والسنة، وفيما يلي نذكر بعضاً منها:

١- قال الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} {المائدة: ٢} فالتعاون على كل ما هو من البر والخير مطلوب، والتعاون على كل ما فيه نفع العباد مطلوب، ولا شك أن التعاون في أداء مهام المهنة أحد صورها.

٢- وقال تعالى على لسان ذي القرنين: {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا} {الكهف: ٩٥}. فهذا ذو القرنين وهو من قوته ودهائه يطلب الإعانة لإنجاز ما هو مطلوب منه، فالفرد قليل بنفسه، كثير بإخوانه.

٣- وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} {الحجرات: ١٠}. وقد سبق أن بينا في الشروط معاني هذه الأخوة وضرورتها للتعاون المهني.

٤- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} {آل عمران: ٢٠٠}. فالآية لا تأمر بالصبر فحسب، بل بالمصابرة أيضاً، وهي أشد وأبلغ من حيث فيها حمل النفس على المزيد من التحمل والثبات.



وبالجملة فهذه الآيات واضحة الدلالة في الحث على التعاون والأخوة والصبر التي هي من جملة خصال خلق التعاون المهني، والآيات في معناها كثير.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة في الموضوع:

١- قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم". ومعلوم أن ممارسة المهنة تستلزم المخالطة، إذ لا يتصور ممارستها بمعزل عن الناس، وإذا تمت المخالطة فلا بد أن ينتج عنها الأذى بقصد أو بغير قصد، ومن ثم كان الصبر مطلوباً كما حث عليه الحديث الشريف.

٢- وقوله صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة"، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: "الله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم". وبذل النصح وجه من وجوه التعاون على الخير، وعلى ما فيه النفع والفائدة.

٣- وقوله صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة". فالحديث يبين الواجب الأخلاقي على كل مسلم تجاه إخوانه من المسلمين، فلا يظلمه، ولا يتخلى عنه، بل يسعى في قضاء حوائجه، وتحقيق كربه، وتحقيق الستر له.



مظاهر التعاون المهني عند الفقهاء:

هناك عقود ومهن كثيرة يتجلى فيها مظاهر التعاون المهني، ذكرها الفقهاء في مصنفاتهم، وسنشير إلى بعض منها فيما يأتي:

١- الإقالة في العقود:

والإقالة تعني فسخ العقد وإبطاله برضا الطرفين؛ بناءً على طلبٍ من أحدهما بعد إبرام العقد ولزومه وترتب آثاره؛ أي أن أحد الطرفين يندم ويريد إبطال البيع أو الإجارة أو نحوهما من بعد إبرام العقد ولزوم آثاره، فيستجيب له الآخر؛ تقديراً لظروفه، ومراعاة لحق الأخوة التي قررها الشرع. وقد أجمع الفقهاء على أن الإقالة مندوبة؛ لأنها من باب التعاون على البر، ويقول فيها صلى الله عليه وسلم: "من أقال مسلماً عشرته، أقال الله عشرته يوم القيامة". والإقالة قد تكون بين متعاقدين في عقد بيع أو إجارة، أو مريض مع طبيب، أو مهندس أو شركة للمقاولات مع من يريد إنشاء مبانٍ أو محلات تجارية.

ولا شك أن ذلك من باب التعاون على البر، والاستجابة لدواعي الأخوة، وهما من خصال التعاون المهني.



٢- عدم الخطبة على خطبة أخيه وعدم البيع على بيعه:

قال صلى الله عليه سلم: "لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه، ولا يبيع على بيع أخيه، إلا بإذنه". أي أن الشرع ينهى عن المزاحمة والمنافسة غير الشريفة، والتي من شأنها أن توغر الصدور، وتجلب الكراهية والحقد، لما في ذلك من المنافاة لحقوق الأخوة والتعاون التي يجب أن تسود العلاقات بين الناس، فالرجل الذي يقدم على خطبة امرأة، من بعد أن تمت خطبتها من قبل آخر، وتم الاتفاق بينهما، يقدّم على عملٍ مشين، وكذا من يأتي ويسعى لنقض عقد بيع قد تمّ وأبرم، فيقول للمشتري: ردّ عليه سلعته وأبيعك مثلها بسعر أرخص، أو أبيعك أحسن منها بنفس السعر! مثل هذا العمل ينافي خلق الأخوة والتعاون، وعلى العكس من ذلك يؤدي إلى التدابير والتنافر، والتنافس غير الشريف، ولا شك أن الشرع لا يرضى لأتباعه مثل هذه الأخلاق المشينة والمذمومة، فالله عز وجل يحب معالي الأمور، ويكره سفسافها.



٣- التصريح بما في السلعة من العيوب :

لا خلاف في أن بذل النصح واجب للمسلم على أخيه المسلم، فقد كان رسول الله يأخذ على الناس في البيعة بذل النصيحة كما يأخذ عليهم الفرائض، يقول جرير: ”بايعت رسول الله على السمع والطاعة، فشرط عليّ: والنصح لكل مسلم“، وهذا الخلق يتطلب من البائع أن يذكر كل عيب يعلمه في سلعته، أو يخبر المشتري بأنها مغشوشة مثلاً، فيبذل له النصيحة، وإلا كان كاتماً للعيب، غاشاً له، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ”الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ، مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا“. فكتمان العيب محرم، ويمحق بركة البيع في الدنيا، ويُعرض فاعله للعذاب في الآخرة. قال بعض أئمة السلف: (لا يحل لامرئٍ بيعُ سلعةٍ يعلمُ بها داءً إلا أخبره). ويقال مثل ذلك في المشتري، إن وجد أن السلعة تستحق أكثر مما يطلبه البائع، وأن صاحبها يجهل قيمتها، فالذي يتطلبه الخلق القويم أن يخبره بذلك، وقد ورد أن جرير بن عبدالله -راوي الحديث- اشترى فرساً فطلب صاحبها منه مائتي درهم، فوجد جرير أن الفرس تستحق أكثر، وأنه يجهل قيمتها، فزاده في سعرها حتى أوصلها إلى ثمان مائة درهم، ثم ذكر الحديث السابق ”والنصح لكل مسلم“.



بِسْمِ اللَّهِ
بِحَمْدِ اللَّهِ

